الفرد والتَّوجُّهات الرومانسية الشعرية في الأندلس
في القرنين الخامس والسادس للهجرة

د. عيسى فارس*

د. وفاء جمعة**

أحمد سليمان علي***

(تاريخ الإيداع 21 / 12 / 2020. قبل للنشر في 10 / 8 / 2021)

□ ملخّص □

يحاول البحثُ استشفاف الرؤى التي تحملُ توجُّهاتٍ ذاتيَّةً، والوقوفِ على التَّصوُّرات المبثوثة في النصوص التي تابعها في الشعر الأندلسيِّ لفهم المدارِ الحياتيِّ للإنسانِ الفرد، وهو يلتزم بمحاولة اكتشاف قوَّة الذات الشاعرة، وحضورها في النصِّ الشعريِّ اعتماداً على توجُّهاتٍ رومانسيَّة معيَّنة.

استقرَّ البحث على عنوانين اثنين للتَّوجُّهات الفردية التي لاحظها في الشواهد الشعرية، هما:

_ الذات الشاعرة وخطاب الآخر.

_ الذات الشمولية.

أمَّا خطَّةُ البحث فتقوم على وضع كل عنوان مذكور ضمن إطار أكثر عمومية في فهمه، وذلك لتعيين الأسس التي يقوم عليها كل عنوان ضمن الفهم العام للمستوى الفردي، وحضوره في النص الشعري الأندلسي؛ لأنَّ المقدار الذي نشعر فيه بقوة الذات الشعرية المعبرة عن الفرد هو الذي يحدد المدى الذي قارب فيه الشعر الأندلسي التوجهات الرومانسية، ويساعد في تعيين موقعه بين النهج الكلاسيكي، والتوجهات الرومانسية اعتماداً على مسايرةٍ ضرورية للبناءين الزماني والمكاني، كذلك التفريق بين القصدية، والتلقائية لدى الشاعر في إبراز ذاته.

الكلمات المفتاحية : (الذات ، الأندلس ، الفرد ، الآخر ، الرومانسية.)

* أستاذ ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة تشرين ، اللاذقية، سورية .

**مدرسة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية .

*** طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين ، اللاذقية ، سورية.

The individual And directions Poetic romance In Andalusia in the fifth and sixth centuries of migration

Dr. Eisaa Faris [*]
Dr. Wafaa Jumea**
Ahmed Sulaiman Ali ***

(Received 21 / 12 / 2020. Accepted 10 / 8 / 2021)

□ ABSTRACT □

The research attempts to discern the visions that bear subjective tendencies, and to identify the perceptions transmitted in the texts that he followed in Andalusian poetry to understand the life orbit of the individual human being.

The research committed to trying to discover the power of the poetic self, and its presence in the poetic text, based on romantic trends that adopt the new viewpoint in Andalusian poetry.

The poetic evidence carried multiple tracks of romantic individual tendencies Search placed it in two addresses:

- The poet's self and the discourse of the other
- The totalitarian self

The study adopts a plan based on placing the every title in a general space for understanding to define the foundations of each title within the general understanding of the individual level and its presence in the poetic text, Because the extent to which we feel the power of the poetic self expressing the individual determines the extent to which Andalusian poetry has approached romantic trends, and It helps to locate it between the classical approach that we have referred to, and the romantic orientations, based on a necessary parallel to the temporal and spatial construction.

key words: The self, Andalusia, the individual, the other, the romantic.

[*]**Professor, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen university Lattakia, Syria.**
**** Assistant Professor , Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen university Lattakia, Syria.**
*****Postgraduate student, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

مقدِّمة

تُعدُّ دراسة التَّوجُّهات الرومانسية في الشعر الأندلسي من الدِّراسات المهمَّة التي تحتاج إلى سعيٍ حثيث؛ إذ إنَّ النصَّ الشعريَّ الأندلسيَّ يحمل، مثل أيِّ نصٍّ شعريٍّ آخر، أكثر من توجُّه في الخطاب أو الرسالة المقدَّمة فيه، وهذا ما يجعل متابعة التوجُّهات الرومانسية محفوفة ببعض الصعوبات، ومن ذلك دراسة الفرد، وتكيّفه مع المنظومة الفكرية والنفسية في الشعر الأندلسي؛ فقد طغت الجماعة على الفرد في وجودها على الأسس التي بُنِيَ عليها المجتمع العربي، وانتقل هذا الطغيان إلى الشعر العربي، ثمَّ انتقل هذا بدوره إلى (الأندلس) ضمن الأسس التي اعتمدها النظام الفكري والنفسي الكلاسيكي في الشعر، بيد أنَّه يمكننا استشفاف بعض اللمحات الرومانسية التي تشكِّلُ في مجموعها توجُّهات يُعتَدُّ بها في هذا الاتِّجاه البحثي، ويُقصَدُ بها في سياق دراسة الفرد حقيقة التَّفرُّد نفسها؛ أي شعور الفرد بفرادته، واختياره طريقه، ورؤاه، وسعيه إلى تحقيق مشروعه في الحياة.

تكمن أهمِّيَّة الدراسة في متابعتها التوجُّهات الرومانسية في الشعر الأندلسي، وهي متابعة جديدة بناء على سياقين اعتمدتهما الدِّراسة في تأسيس المفاهيم الدالة؛ هما:

- الطابع الفردي في النصوص الشعرية الأندلسية المنتمية للقرنين الخامس والسادس الهجريين .
- التفريق بين التصور الرومانسي والتصور الكلاسيكي في الشعر الأندلسي .

وحدَّد البحث أهدافه في محاولة إبراز بعض ما امتلكه الشعر الأندلسي من خصوصية يمكن التنبيه إليها عبر السياقين الزماني والمكاني، ويمكن الالتفات إلى تلك الخصوصية عبر متابعة خصائص النص الشعري الأندلسي التي ارتفع فيها رصيد العناصر الرومانسية، وهذا ماستحاول الدراسة إظهاره عبر المجال الشعري الفردي في (الأندلس).

الدراسات السابقة

يقلُّ عدد الدراسات التي ناقشت مفهوم الفرد في الشعر الأندلسي اعتماداً على التَّوجُّه الرومانسي، بيد أنَّنا نجد أكثر من دراسة عنت بمفهوم الذات في الشعر الأندلسي، وهي دراسات مفيدة في سياق البحث عن التصورات الأندلسية للذات الشاعرة، وعلاقتها بحركة الحياة، وأحداثها، وتعبيرها عن خصوصيتها، بيد أنَّها لا تلتقي وتوجُّه البحث نحو منهج استقصاء التصورات الفردية القريبة من التصوُّر الرومانسي، ومن تلك الدراسات :

- تداعيات الذات في الشعر الأندلسي، المؤلِّفة: هناء جواد .
- الذات والآخر في الشعر الأندلسي، المؤلِّف: منتصر نبيه.
- الأنا والآخر في الشعر الأندلسي، عصري الطوائف والمرابطين، المؤلِّفة: لقاء عبد الزهرة.
- صورة الذات في الشعر الأندلسي، عصري الطوائف والمرابطين، المؤلِّف: صادق جعفر عبد الحسين.

وتابع البحثُ الشواهدَ في دواوين الشعراء، والمصادر الأندلسية القديمة الموجودة في مكتبات الجامعة، والمراكز الثقافية في محافظتي (طرطوس، اللاذقية)، ومنها:

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المؤلِّف: شهاب الدين المقَّري.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، المؤلِّف: ابن بسام الشنتريني .
- مطمح الأنفس ومسرح التأنُّس في ملح أهل الأندلس، المؤلِّف: ابن خاقان.

- طوق الحمامة في الألفة والألاف، رسائل ابن حزم، المؤلِّف : ابن حزم.

وأفاد البحث من مجموعة من المراجع المتَّصلة بتوجُّه البحث؛ أي متابعة الخصائص الرومانسية في النص الشعري، ويأتي في مقدِّمتها:

- مذاهب الأدب وروح العصر، المؤلِّف: نبيل راغب.
- في الرومانسية والواقعية، المؤلف: سيد حامد النساج.
- محاضرات في الأدب ومذاهبه، المؤلِّف: محمد مندور.
- مذاهب الأدب، معالم وانعكاسات: الكلاسيكية، الرومانتيكية، الواقعية، المؤلِّف: ياسين الأيوبي.

أهمِّيَّة البحث وأهدافه

يسعى البحث إلى متابعة التَّوجُّهات القريبة من الرومانسية في النصوص الأندلسية التي برز فيها الفرد بوصفه الموضوع، أو بوصفه محرِّك العمليَّة الشعرية، وتكمن الجدَّة في هذا العمل في محاولة تجنُّب الاستمرار على نهج دراسة الذات في الشعر، والانتباه إلى وجود بعض العناصر المفيدة في سياق اعتماد النص الشعري الأندلسي على تجديد خصائصه، وهي عناصر قريبة من العناصر الرومانسية.

منهجيَّة البحث

اعتمدت الدراسة منهجيَّة ضروريَّة تقوم على تعيين النماذج الشعرية بوصفها شواهد ينطلق منها في محاولة تأكيد طروحاته، ثمَّ تحليل العناصر الفكريَّة والنفسية الموجودة في تلك الشواهد، التي تتصل بسياق الفردية، والتوجُّهات الرومانسية فيها، وهذا استدعى اتِّباع المنهج الوصفي الذي يعين الباحث على الاستقلال بالشاهد، ومتابعته بالتفسير، والمقارنة، والرَّبط وصولاً إلى الاستنتاجات الناجعة في تقديم رؤى جديدة.

مدخل:

اختلفت الأقوال في أصل لفظة (الرومانسية)، ولكنَّها على الأرجح مأخوذة من الكلمة الفرنسية القديمة (Roman)، بمعنى (القصة الخيالية الطويلة)، أو قصص المغامرات الخيالية التي انتشرت في العصور الوسطى، وتفرَّعت إلى عدد من اللغات؛ ففي الإنكليزية نجد لفظة **رومانتيزم** (Romantisme) التي كانت تدلُّ على نوع من الإغراق في الخيال، أمَّا في الفرنسية فقد استعملت في أكثر من معنى، وهي المعنى الخاص بالحنين والحزن.[1]

تجلَّت الملامح الأولى للرومانسية في الآداب الأوروبية بعد الثورة الفرنسية، وأطلقت على الذين تغنّوا بذواتهم من المبدعين، وقد سادت الرومانسية في النصف الأول من القرن التاسع عشر؛ فقد شهد مطلع هذا القرن ((هيمنة الحركات الرومانتيكية، على الأقل، في ألمانيا وإنكلترا بشكل قاطع)).[2]

---

[1]) الأيوبي، ياسين. مذاهب الأدب، معالم وانعكاسات: الكلاسيكية، الرومانتيكية، الواقعية. ط2، دار العلم، بيروت، لبنان،1984م، ص119.

[2]) ويليك، رينيه. تاريخ النقد الأدبي الحديث، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد. المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ج2(العصر الرومانسي)، 1999م ، ص7 .

شهد تطوُّر اللفظة الاشتقاقي نوعاً من التطور الذي طال بعض الأشكال الأدبية، والجماليَّة، خاصَّة بعد انتقالها إلى (إيطاليا في عام 1815م، ثمَّ إلى (إسبانيا)؛ فأصبحت تدلُّ على الإنسان الحالم، صاحب المزاج الشعري، المنطوي على ذاته، ثمَّ امتدَّ معناها إلى مايشمل العاطفة، والاستسلام للمشاعر، والاضطراب النفسي، والفرديَّة الذاتية.[3]

تكثر تعريفات الرومانسية بوصفها مصطلحاً، وقد جمع الناقد الألماني **شليجل** (CHLIJAL) أكثر من مئة وخمسين تعريفاً للرومانسية من دون التَّوصُّل لتعريف نهائي، حتَّى قيل: ((إنَّ الرومانسية تتَّخذ من الأشكال بقدر مافيها من مؤلِّفين))[4]، ولكن من المتَّفق عليه هو أنَّ الرومانسية، بوصفها مذهباً، جعلت من الشعر مجالاً مهمَّاً للتعبير عن الإنسان الفرد بكلِّ مايملك من خصائص متفرِّدة، والمذهب الرومانسي هو ((مذهب عاطفي يتغنَّى بآلام الإنسان، وأحياناً بمسرَّاته، وهو أدب شخصي يهتمُّ بمشاعر الفرد الخاصَّة، ويترنَّم بها..)).[5]

أمَّا الكلاسيكيَّة فهي لفظ مشتقٌّ من الكلمة اللاتينيَّة (Classis)، ومعناها الأصلي(أسطول حربي أو بحري أو وحدة في هذا الأسطول أو مطلق وحدة)؛ أي إنَّها أصبحت تفيد معنى وحدة من الطلبة يكوِّنون فصلاً، ومن هذا المعنى((أخذت كلمة (Classicisme) أي الأدب المدرسي، بمعنى أنَّه الأدب الذي أفلت من طوفان الزمن فبقي حيَّاً وكان من الجودة بحيث أصبح وسيلة التربية في الفصول، فبقراءته تثقَّف العقول، وتهذَّب المشاعر)).[6]

تختلف الكلاسيكية عن الرومانسية في عدد من الخصائص؛ منها أنَّ الأدب الكلاسيكي هو أدب يصدر عن العقل، ويحكِّمه، ويخضع اللغة للأصول والقواعد، ويُعنى بالصياغة، ويستوحي القديم باستمرار[7]، والكلاسيكية بالمقابلة مع الرومانتيكية((أدب عقلي يقصد إلى الحقائق العامَّة لا إلى حالات النفس الفرديَّة)).[8]

يتميز المذهب الكلاسيكي بالاعتماد على العواطف العامة؛ أي العواطف المشتركة بين البشر جميعاً، وهو لايسرف في التعبير عن العاطفة الفرديَّة، فيأتي التعبير عن الحب مثلاً متشابهاً في أغلب الخصائص الفكرية والعاطفية لدى الشعراء الكلاسيكيين؛ فلانلمس تجاوزاً للمألوف في التعبير عن الغمرة الجمالية، والإحساس الخاص في الحب، كذلك في الرثاء، والمدح، والهجاء، وأغلب الموضوعات، والأغراض الشعرية التي تتداح فيها العواطف الإنسانية لدى جميع الشعراء الكلاسيكيين بشكل تبدو فيه متشابهة، ومن هنا نلقى إلحاحاً في هذا السياق على المطالبة من الحالة الفردية بأن ((تتناسى سماتها الفردية المميزة كي تسمح فحسب بسيادة القانون الموضوعي والضرورة .))[9]، وبذلك يصبح الفرد مطالباً بالانسجام مع النموذج أو المثال، ومتابعة خصائصه، ويصبح لدى المتلقي حقيقة عليا في فهم الموضوع الشعري، ومرتكزاته الفكرية والعاطفية، بيد أننا نجد في الرومانسية تساهلاً مع الذات الشاعرة، فتتركها على سجيتها في التعبير عن نفسها، ولا تحاول هذه الدراسة، مسايرة التوجه المذهبي الرومانتيكي في موضوع الفرد، وإنما تأخذ من الرومانتيكية روحها الشعرية، وسياقها الحياتي الحركي لا المذهبي الصارم؛ فالرومانتيكية، بوصفها مذهباً، أكَّدتْ تقدير

---

[3]) الأعرج، واسيني. اتجاهات الرواية العربية في الجزائر. مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1976م، ص 202.

[4]) بول فان، تيغم. الرومانسية في الأدب الأوروبي، ترجمة صباح الهجيم. د.ط ، وزارة الإرشاد القومي، 1981م، ص177.

[5]) مندور، محمد . في الأدب والنقد. د.ط، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1988م، ص 103.

[6]) المرجع نفسه. ص 98.

[7]) مندور، محمد . في الأدب والنقد. ص 98-99.

[8]) المرجع نفسه. ص 100 .

[9]) كاسيرر، إرنست . فلسفة التنوير ، ترجمة إبراهيم أبو هشهش . ط1 ،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الظعاين ، قطر، 2018م ، ص 210 .

الفرد بوصفه كياناً له احترامه وتأييده في المجتمع، أمَّا الرومانتيكية، بوصفها تياراً حياتيَّاً قائماً على الفردية أو الذاتية، فتقوم على نقطة أساسة هي تقمُّص الشاعر شخصية بطله، وانغلاقه على مشاعره وذاته المفكرة[10]؛ وبذلك تكون نهجاً يهدف إلى تحرير الأنا من القيود، ويمجِّد الذات، ويقيس الكون كلَّه بمقياس الفرد.

لقد جعلت الرومانسية من الفرد جديراً بعناية الأدب من جهة، واعتبرته منبع القيم من جهة ثانية، وإذا كانت الكلاسيكية ((تُعنى بالإنسان النموذج ، فإنَّ الرومانسية أخذت تحتفل بالإنسان الفرد، واهتمت بإبراز فرديته وشخصيته، والاختلاف الذي يميزه عن غيره))[11]، ومن هنا نستطيع تتبُّع خطواتنا في هذه الدراسة عبر مسارين؛ هما (خطاب الآخر، وشمولية الذات الشاعرة).

أوَّلاً :

المسار الأول : (الذات الشاعرة وخطاب الآخر) :

يقوم المبدأ الشعري التقليدي على أساسٍ مهمٍّ هو أنَّ الشعرَ وليدُ حسٍّ، وردُّ فعلٍ على حدث مثير أو إحساس محفِّز، وقد أكَّد الأقدمون هذا المبدأ، وقاموا بربط العملية الشعرية بالذات المبدعة، وردَّات فعلها؛ فقد أجاب(الحطيئة) حين سئل عن أشعر الناس فقال: ((هذا إذا طمع))[12]، وهو يشير إلى لسانه، وحين سئل (أرطأة بن سهية) عن قوله الشعر أجاب: ((كيف أقول وأنا ماأشرب، ولاأطرب، ولاأغضب))[13]، وتزخر كتب الأدب والنقد العربي القديم بمابشابه ذلك من النوادر والأقوال، وقد عبَّر(حازم القرطاجني) عن ذلك بدقة؛ حين تحدّث عن الواجب الذي على المقبل على جودة التصرف في المعاني، وحسن المذهب في اجتلابها أن يفهمه؛ وهو أنَّ للشعراء أغراضاً أُوَل هي الباعثة على قول الشعر، وهي((أمور تحدث عنها تأثيراتٌ وانفعالات للنفوس؛ لكون تلك الأمور مما يناسبها ويبسطها أو ينافرها ويقبضها أو لاجتماع البسط والقبض والمناسبة والمنافرة في الأمر من وجهين ..))[14].

تقوم الرؤية التقليدية السابقة على أساس وجود محفِّز خارجي يؤسس لعملية الشعر، وتتوسع الرؤية في العصر الحديث؛ فقد ذهب أصحاب الرأي في العصر الحديث من الغربيين والعرب إلى أنَّ الأساس الذي يقوم عليه مبدأ الشعر الأول أو الفطري هو ماأشرنا إليه، إلَّا أنَّ مدار الشعر يتوسع، فيبدأ فيه النُّصُّ الشعريُّ بالتوسع دائريَّاً في محاولة للقبض على مفاتيح الوجود؛ بمعنى أن الدواعي التي أشرنا إليها تتصل بمبدأ القول أو الإصدار، أو الحافزية، بيد أنَّ الشعر نوع من الاستكشاف يعدو فوق القوى التعبيرية، وأساس ذلك هو تعقد الحياة البشرية حديثاً مما أثَّر بطبيعة الحال في المناخ الشعري الذي يكون – عادة – مرتبطاً بمتغيرات الشاعر الحولية واللاحولية، يقول(نوفالس) : ((الشعر نقل للنفس أو للعالم الداخلي بكليته ، حتى الألفاظ تثبت ذلك لأنَّها فيض من العالم الداخلي للنفس))[15]، وقد أكَّدت الرؤية الحديثة ماسبقها متوسِّعة نحو التأكيد على أنَّ المثير الخارجي ليس هو الحاكم الوحيد في العملية الشعرية، وإنَّما وجود القابلية الداخلية لذلك هو الذي يجعل النفس الشاعرة تفيض بما لديها.

---

[10]) راغب، نبيل . مذاهب الأدب وروح العصر . مجلة الفيصل ،العدد 55 ، 1981م ، ص 20.

[11]) النساج، سيد حامد . في الرومانسية والواقعية . ط1 ، دار غريب للطباعة ، القاهرة، مصر ، 1969م ، ص 11 .

[12]) الجاحظ، أبوعثمان. البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، د. ت ، ج3، ص 28.

[13]) ابن قتيبة، أبو محمد .الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر . دار المعارف ، القاهرة، 1966م ، ج1 ، ص 80 .

[14]) القرطاجني، أبو الحسن حازم . منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجه. د.ط ، تونس، 1966م ، ص 1.

[15]) عباس، إحسان . فن الشعر . ط3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1959م ، ص 30 .

إنَّ فيضان النفس الشاعرة يحتاج إلى مجموعة من الخبرات المتراكمة التي تصنع الحدث الشعري في عوالمها؛ لذا يجب أن يسمع الشاعر إلى صوت ذاته، ويتركها تتوسع، وتتضخَّم في سبرها أغوار الكون معرفيَّاً وعاطفيَّاً لتتمكَّن من جمع حصيلة من التراكمات الانفعالية، والتصورات الفكرية حول الأشياء، والتفصيلات، والأنواع، وقنوات التعبير عن الحياة في الوجود، وهذه الحصيلة هي التي تتسكب في النص الشعري لتشكِّل الرؤية الشعرية المتبنَّاة فيه، وبذلك تصبح القصيدة ((أنا الشاعر ، وقد جعلت من ذاتها موضعاً لذاتها))[16]، ويكفي _ كما أشار الدكتور (محمد مندور) _ أن يلاحظ الشاعر التجربة، ويعرف عناصرها، ثمَّ ((تعينه دقَّة الملاحظة وقوة الذاكرة وسعة الخيال وعمق التفكير حتى يخلق هذه التجربة الشعرية التي تصورها عن قرب ..)).[17]

الناظمُ للكلام السابق هو في الحافز الذي يحمل الشاعر على المسير في مسارين هما: (مسار قول الشعر، أو إنتاج النص الشعري، ومسار إطلاق الشعر)؛ فوجود نص شعري يفترض بالضرورة وجود المتلقي، أو الآخر كما يرغب الرومانسيون أن يطلقوا عليه، وهو الحافز في العملية الشعرية؛ فالعبرة في الحافز الذي يدفع الشاعر إلى تقمص المشاعر وتمثيلها، وهذا الحافز هو الآخر الذي يسعى إليه الشاعر عبر نصه. ينقل(محمود السمرة) رأياً ل(ساكس) مفاده أنَّ الفنان يسعى إلى كسب قرائه إلى صفِّه، فكأنَّ هؤلاء القرَّاء بموافقتهم يقولون له : أجل، إنَّ رغباتك المكبوتة هي رغباتنا، فنحن، جميعاً، مشتركون في الإثم نفسه، وهكذا فإنَّ الشاعر بإحرازه موافقة الآخرين يتخلَّص مما يثقل ضميره .[18]

يمكن القول: إنَّ هذه العملية تتلخص في مسألة معالجة الذات لتنتقل من الإحساس بالأنا إلى الإحساس بالنحن؛ فالآخر يمكن أن يكون فرداً يرتاح الشاعر إليه أو حتى إنَّه يصبو إليه، ويمكن أن يكون مجتمعاً واقعيَّاً أو متخيَّلاً ، بيد أنَّ المهمَّ في هذا هو تحقيق الشاعر ذاته؛ إذ يبقى تحقيق الشاعر ذاته هو الهدف النهائي والغاية المثلى، ويتحقق ذلك بوعي الشاعر وفهمه ذاته ، وإدراك أهميتها في المدى الإنساني البعيد لها.

وعليه فإنَّه من الواجب أن تعبِّرَ النصوص الأندلسية التي يجب تناولها في هذا السياق مع الوجهة المشتركة بين المبدأ الفردي المُشار إليه في الرومانتيكية والأساس المعرفي السابق، وربَّما كانت النصوص التي عبَّر فيها الشعراء عن عواطفهم بصدق وإسراف، ونصوص رثاء النفس تحقق هذه الغاية في سياق البحث عن موقع الشعر الأندلسي بين النهج الكلاسيكي، والتوجهات الرومانسية، وربما كانت النصوص التي عرض فيها الشعراء لمشاعر الهوى والعشق في دواخلهم هي الأدقُّ في التعبير عن ذلك التوجه؛ كون وجود الآخر هنا محتوم وهو الطرف الآخر في العشق، وإنَّ الأشعار التي انطلقت فيها الذوات الشعرية في التعبير عن أناها كانت موجَّهةً نحو متلقٍّ موجود بالضرورة سواء حقيقة أم خيالاً ، وهنا يصبح تعاظم الذات المفترضة ضرورة ملحة لاتصال الأنا بالأنا انتقالاً بهما إلى النحن، أو الأنا المتَّحدة كما نلمس في أبيات (ابن حزم) التي أوردها في كتابه (طوق الحمامة في الألفة والألّاف) يقول فيها: [19]

(البحر الطويل)

وددْتُ بأنَّ القلبَ شُقَّ بمديةٍ وأُدخلْتِ فيه ثمَّ أطبقَ في صدري

---

[16]) **إسماعيل، عز الدين . كل الطرق تؤدي إلى الشعر . ط1 ، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ، 2006م ، ص69 .**

[17]) **مندور، محمد. محاضرات في الأدب ومذاهبه ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، 1955م ، ص 6 .**

[18]) **السمرة ، محمود . في النقد الأدبي . ط1 ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت 1974م ، ص 90 .**

[19]) **ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد . طوق الحمامةِ في الألفة والألاف، تحقيق حسن كامل الصيرفي .ط1، مطبعة حجازي ، القاهرة ، 1950م ، ص63 .**

فأصبحْتِ فيه لاتحلِّين غيره إلى مقتضى يوم القيامةِ والحشرِ
تعيشين فيه ماحييتُ فإنْ أمُتْ سكنْتِ شغافَ القلبِ في ظلمِ القبرِ

يحاول الشاعر استدراج الآخر(المحبوبة) من استقلاله الجسدي نحو الاتحاد الجسدي المادي الذي يريح الشاعر من ألم الابتعاد، وجوى الفردانية المزدوجة؛ فهو بحثٌ عن اتِّصالٍ ما بين أنا الشاعر المنفصلة، وأنا الآخر المنفصلة للانتقال بهما إلى مرحلة النحن، أو الأنا المتَّحدة، وهذه الأنا المتَّحدة يتحقق فيها التَّماهي الروحي الذي كان موجوداً من قبل، والتكاملية الجسديَّة معاً، وهي الذات المثاليَّة وفق تصوُّر الشاعر، وهي الذات التي تصبو إليها الرومانسية باستمرار، وقريب من هذا التَّوجُّه تعبير (حفصة بنت الحاج الرّكونية) عن ولهها بحبيبها، ورغبتها الجامحة بجعل الاتِّصال بينهما أكبر من الاتصال الروحي، تقول: [20] (البحر الوافر)

أغارُ عليكَ من عيني رقيبي ومنك ومن زمانكَ والمكانِ
ولو أنِّي وضعتُكَ في عيوني إلى يوم القيامةِ ماكفاني

فالذات العاشقة هنا تشعر بقلق الحب، وتوتر الوجدان من كلِّ ما يخصُّ الطَّرف الآخر، وتريد تحقيق الهدف الذي لاتستطيع تحديده بدقَّة؛ فهي تبتغي الاستمرارية التي أرادها(ابن حزم) في أبياته، ولكنَّها تخشى عدم الكفاية؛ فلو أنَّها خبأته في عيونها إلى يوم القيامة الذي هو تجسيد للنهاية البشرية، فذلك لن يكفيها، وهذا الضَّياع الناجم عن الحب يساعد على بقاء الجذوة؛ لأنَّه يحقِّق الاشتياق الدائم المتجدد مع كل طارئ، وهو ماحدث مع(المعتمد بن عباد) الذي حاول الاتحاد بمحبوبته (اعتماد) في كل شيء، حتَّى في الاسم، وقام بالتعبير عن حبِّه الدائم في الواقع فعلاً، وعملاً، وقولاً، لكنه لم يكفه ذلك، فباح بتلك الأجواء الرومانسية المأساوية التي يعيش فيها في حبِّه، يقول :[21] (البحر الكامل)

حبُّ اعتمادٍ في الجوانحِ ساكنٌ لاالقلبُ ضاق به ولاهو راحلُ
مَنْ شكَّ أنِّي هائمٌ بكَ مغرمٌ فعلى هواكِ له عليَّ دلائلُ
لونٌ كسته صفرةٌ ومدامعٌ هطلَتْ سحابتُها وجسمٌ ناحلُ

يؤكِّد الشاعر استمرار حبِّه بالشكل الذي يجعل من استمراره سكنى في أعماق الجسد، مثل أعماق الروح، وذكر دلائل على سكنى الحبِّ في الجسد والروح معاً ، وهي دلائل مليئة بالتأثيرات الجسدية الكبيرة؛ مثل تغيُّر اللون، والدمع الهاطل، والجسد النحيل، وهي ردَّات فعل جسديَّة طبيعيَّة برأيه على قوَّة حبِّه؛ فكأنَّ فكرة اتِّصال أنا الشاعر وأنا الآخر(المحبوبة) تهيمن على الشاعر فتجعله غير متقبِّل لأيِّ فراق ممكن، فهو يعاني من عدم الوصول إلى مرحلة الوصال التام، يقول في أبيات أخرى معبِّراً عن تلك المعاناة من الفراق:[22] (مجزوء الكامل)

أنا في عذابٍ من فراقِكْ نشوانُ من خمرِ اشتياقِكْ
هذي جفوني أقسمَتْ لاتـلـتـقـي ما لم تلاقِـكْ

[20] المقري ، شهاب الدين. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس. ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 1997م، ج5، ص 308 .

[21] ابن عباد ، المعتمد. ديوان المعتمد بن عباد ، جمع وتحقيق رضا الحبيب السويس. د.ط، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1975م ، ص 23 .

[22] ابن عبَّاد، المعتمد. ديوان الشاعر . ص 22 .

وربَّما هذه المعاناة من فراق الذات الشاعرة، والذات المكمِّلة لها جسديَّاً هي التي حدت بالشاعر(ابن حزم) إلى التعبير عن رغبته الكبيرة بالوصول إلى الذات المثالية عبر التواصل الروحي الألطف وقعاً، يقول: [23] (البحر الوافر)

فروحي إنْ أنمْ بكَ ذو انفرادٍ من الأعضاءِ مستترٌ ومخفي
ووصلُ الرُّوحِ ألطفُ فيكَ وقعاً من الجسمِ المواصلِ ألفَ ضعفِ

ينهض الموقف الرومانسي على مجموعة من المواقف المتراكمة التي مرَّت على الذات الشاعرة، فتصبح الأنا محور الكتابة، التي ((تحوَّلت إلى مايشبه البوح الصادق، ولم يعد الكاتب يخجل من الحديث عن شجونه، بل راح يعرِّي ذاته، ويظهر للملأ على حقيقته، بضعفه وقوَّته، ببغضه وحبِّه، وقد شغلته شؤونه وقضاياه، ومشاعره الخاصة))[24]، ولذالك نجد أنَّ الأثر الجسدي أصبح ضرورة ملحَّة ضرورة ملحَّة، وليس استعراضاً لإثبات الحب، وهذا مايقاربه (ابن زيدون) في قوله : [25] (البحر الخفيف)

أنتِ معنى الضنا وسرُّ الدموعِ وسبيل الهوى وقصدُ الولوعِ
أنتِ والشمسُ ضرَّتانِ ولكن لكِ عند الغروبِ فضلُ الطلوعِ

هنا قد نلمس بعضاً من الاستلذاذ بالألم ، فضرورة الأثر الحسي الذي هو موقفيٌّ مؤقت بطبيعة الحال طريق نحو الأثر الروحي الدائم، فيصير الألم في الحب حاجة تشبع الذات الشاعرة في تعبيرها عن فرديتها ، يقول (ابن حمديس) :[26] (البحر الكامل)

صبٌّ يذوب إلى لقاء مذيبه يستعذب الآلام من تعذيبه
ملك القلوب هوى الحسان فقل له كيف انتفاع جسومنا بقلوبه

لاشك في أنَّ الشاعر في نشوته بالألم يصور الحياة وفق رؤيته الفردية المؤسسة أصلاً على وجدانه، أو لنقل: إنَّه يرى الحياة من منظوره العاطفي الذاتي، وهذه الوجدانية في الشعر يلاحظ فيها شدة المعاناة، وجيشان العواطف، ودافعها الأساس اقتناع الشاعر بتفرد تجربته، مما يحثه على تصفية الذات من التشويش وصولاً باتصاله بالآخر إلى مستويات من التقدم تمَّحي فيها حدود الفردية.

وفي سياق الحديث عن علاقة الذات الشاعرة بالآخر في الموضوعات الشعرية لا تخرج العناصر المذكورة أو الرؤية المتداولة أعلاه عن سياق السوداوية في موضوع الرثاء، إلَّا أننا نجد بعضاً من الإسراف العاطفي حين يتحدث الشاعر في موضوع الرثاء عن نفسه؛ فرثاء النفس انتشر في (الأندلس) انتشاراً لافتاً، ونجد بعض الالتفاتات الرومانسية التي تنشد الموت في بعض شطحاتها، ولا نغفل عن أن علاقة الرومانسي بالموت علاقة طيبة؛ فالموت لدى الرومانسي ((يمثل لوناً من العبقرية الذاتية الفردية التي يتعشَّقها الرومانتيكيون .. والموت بالنسبة لهم أيضاً عالم مثالي لايعتوره النقص.. عالم مثالي يشع بسحر الغموض ..))[27] ؛ فتعاظم دور الذات الشاعرة في عرض مايعتورها من المشاعر

[23]) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد . رسائل ابن حزم ، تحقيق إحسان عباس . ط2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان ، 1987م ، ج1 ، ص 234 .

[24]) بطرس، أنطونيوس. الأدب، تعريفه، أنواعه، مذاهبه. ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2013م، ص 303– 304.

[25]) ابن زيدون، أبو الوليد أحمد بن عبد الله . ديوان ابن زيدون، شرح يوسف فرحات. ط2 ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م، ص 162.

[26]) ابن حمديس، عبد الجبار .ديوان ابن حمديس، تحقيق إحسان عباس . ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 1960م ، ص 10 .

[27]) عبيس ، سعد . القلق في الشعر العربي الحديث ، مجلة الفيصل العدد 60 ، 1982م ، ص 57.

المختلطة بين اللهفة أو الشغف، والانتظار العبثي في أثناء الحدث الجلل الذي هو الموت من جهة، وانسجامها معه من جهة أخرى يمنح النص دفقاً شعوراً مختلفاً، وتيَّاراً موضوعيَّاً يمكن أن يرهص لمجموعة من العناصر الموضوعية التي تقارب بعض التوجهات الرومانسية، ومن ذلك قول (المعتمد بن عباد) مخاطباً الآخر الذي هو كل سامع، وكل مدقق في لحظات الحياة الشرسة:[28] (البحر الوافر)

أليس الموتُ أروحَ من حياةٍ يطولُ على الشقيِّ بها الشِّقاءُ

فمن يكُ في هواه لقاء حبٍّ فإنَّ هواي من حتفي اللقاء

يسأل الشاعر الآخر المتخيَّل سؤال العارف بالجواب في سياق من استنكار قاعدة من قواعد الحياة المأساويَّة، هي دوام الشقاء على الشقي، وكان سؤاله يحمل الجواب في اعتراف واضح بضرورة الموت بوصفه المنقذ في مثل هذه الحالات، حتَّى إنَّه جعل من الموت لقاء بينه والفرح الحقيقي بعد الآلام، والمعاناة التي يعيشها، مشبِّهاً لقاءه بالموت بلقاء الحبيبين، وهو ما يلتقي في حقيقة الأمر بالجو المأساوي الذي يرتاح إليه الشاعر في التعبير عن علاقته بالموت.

ويصور (الرمَّادي) تلك اللحظة الحساسة في الوجود في خطاب مُوجَّه إلى الآخر الذي هو سبب استفزاز مشاعره في هذا الوقت؛ ونقصد به المحبوبة التي هي الوحيدة التي تشعره بنسيس من الحياة، فيلتقط من الأحاسيس مايربك قراره بين التعلق بالحياة، وهو طبيعة الإنسان عموماً، والرغبة بالموت الذي هو الخلاص، يقول :[29] (البحر الطويل)

فلو أنَّ في عيني الحِمامُ كروضها وإن كان في ألوانه غير مشفقِ

ونادى حمامي مهجتي لتغافلت فهلَّا أجابت وهو عندي لمحنقِ

وقالت: تظنُّ الدَّهرَ يجمعُ بيننا؟ فقلت لها : من لي بظنٍّ محقَّقِ

فهو لاينوح، ويشعر بالقلق، ولاتئنُّ روحه في استقبال الموت في أثناء ردِّه على المحبوبة؛ إذ إنَّ ظنَّه بالموت لايسيح الحزن على روحه، فإذا بقي على الحياة تلاقى الجسدان، وإذا غيَّبه الموت التقت الأطياف ببعضها، يقول في السياق نفسه:

فقد كانت الأشفار في مثل بعدنا فلماالتقت بالطيف قالت: سنلتقي

وتتعاظم ذاته الشاعرة في موضع آخر، حتَّى إنَّه يستحضر بعض المشاهد الطبيعية ليصوِّر مدى حزن الكون لغيابه، وارتباك الوجود لذلك، يقول :[30] (البحر الطويل)

على كمدي تهمي السحابُ وتذرفُ ومن جزعي تبكي الحمام وتهتفُ

كأنَّ السحابَ الواكفاتِ غواسلي وتلك على فقدي نوائحُ هتَّفُ

نلاحظ هنا إشارة الشاعر إلى دور الطبيعة في ردَّة الفعل المُعلَنة من قبله على موته، وحزنه؛ فأمطار السحاب دموع على كمده، وآلامه، وأصوات الحمام الحزينة هتاف تفاعلي بسبب قلقه، وجزعه، فكأنَّ السحب تغسله في موته، وكأنَّ الحمام يبكي عليه نوحاً، وهذه التكاملية بين دوره بوصفه جزءاً من الطبيعة، والطبيعة بوصفها الكلَّ تفتح المجال للذات الشاعرة للتعبير عن سلاسة تنقُّلها بين إحساس الأنا، وإحساس النحن؛ فالذات الشاعرة تسعى باستمرار إلى التعريف عن نفسها وتحديد هويتها؛ لذا فمقاربات هذه الذات الشعرية للتوجهات الرومانتيكية عن طريق محاورة الآخر بوصفه المتقبِّل

---

[28]) **ابن عباد ، المعتمد . ديوان المعتمد بن عباد . ص 90 .**

[29]) **ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد . مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكه. ط1 ،دار عمار– مؤسسة الرسالة، عمان ، الأردن ، 1983م ، ص 318 .**

[30]) **ابن خاقان ، أبو نصر الفتح بن محمد . مطمح الأنفس . ص 320 .**

للتعاظم الفردي توحي بمجموعة من الإرهاصات لتوجُّهٍ رومانسيٍّ في الشعر الأندلسي، وهو ما يمكن أن نقول: إنَّه تطوَّر مع الوقت لتصبح هذه الذات الشاعرة ذاتاً شمولية تتحد مع الموجودات بشكل عفوي هرباً من نفسها إلى نفسها.

ثانياً :

المسار الثاني الذات العامة (شمولية الأنا) :

يكاد لايخلو نص شعريٌّ من وجود (الأنا) متحدِّثةً؛ فتتوجه في حديثها بصيغة المتكلم، أو تكون هي موضوع الحديث، فإمَّا يخاطبها الشاعر، وإمَّا يتحدَّث عنها غياباً، وهذا الحضور القوي للأنا في الشعر العربي منحها أهمية للدراسة والبحث، وقد جعل بعض الشعراء قصائدهم أشبه باعترافات شخصية عما مرُّوا به في حيواتهم فكانت نصوصهم بمنزلة ((فضاء شعري يعاد فيه إنتاج أنا الشاعر أي سيرته الذاتية من خلال أنا المتكلم))[31]، وقد عبَّرت القصائد الغنائية بذلك عن تجارب الشعراء الفردية التي تتعلق بالشاعر المفرد، فهو الذي عرض نفسه من خلالها بكل أبعادها، وخصوصياتها مظهراً تأثُّره بالمؤثرات الخارجية لترتسم ملامح شخصيته في شعره ، ويعلو صوت الأنا معلناً ((القصيدة هي أنا الشاعر، وقد جعلت من ذاتها موضوعاً لذاتها..)).[32]

إنَّ لفظ (الأنا) في العربية إنَّما هو ترجمة وظيفية ودلالية لأداء معنى كلمة (Ego) في الإنكليزية، وفي معجم (لالاند) الفلسفي نقرأ تفسير لفظ (الأنا) على أنَّها ((نزوع إلى رد كل الأشياء إلى الذات))[33]، وهذا يجعل عند الأنا رغبة بالسيطرة على ما تتخذه موضوعاً لها مثل أشياء الطبيعة أو الناس، وهذا التصور هو الذي يحدد موقع الأنا أمام الآخر في الزمان والمكان .

تميل الرومانسية في الأدب والفن إلى تمجيد الفرد، والتعبير الناضج والواضح عن استقلاليته؛ ففي الشعر الرومانسي يعبِّر الشاعر عمَّا يحسُّه هو في كل حالة بكل حرية، ويتناولها بعاطفته وخياله، ولايصدر عن المعاني العامة المشتركة التي لا تمييز فيها بين شخصية وشخصية ولابين مقام ومقام؛ فقد ((أصبح الرومانسي حرَّاً في أن يطلق لخياله العنان، وأن ينطلق وراء اللامحدود والمطلق))[34]؛ ففردية الشاعر الرومانسي هي فرديَّة النفس بأكملها، تلك الفردية التي كان التوكيد على المشاعر والخيال فيها يبدو جوهريًّا[35]، وعليه فإنَّ الأنا المتعالية التي تعبر عن فردية الشاعر الأندلسي تحقِّقُ شموليتها على الموضوع عبر مستويات شعورية متصاعدة، ويمكن أن نلمس ذلك التصاعد في أفق المعنى في مستويات حديث الشعراء عن تجاربهم الشخصية، وعلاقتهم بالطبيعة؛ إذ تراكمت قصيدة الطبيعة في الشعر الأندلسي كمَّاً، وتطوَّرت نوعاً حتَّى استطاع بعض الشعراء لصق أناهم بالطبيعة بوصفها الجزء المعبر عن الكل الذي هو الطبيعة، ويبقى الناظم الذي سنلتزم به في متابعتنا هو في مقدار ما جعلت الأنا من نفسها مركزاً ومحوراً في الحديث؛ لأنَّها في ذلك تعبر عن وعيها وتصورها الشمولي للموضوع أو الحدث الدرامي في الحياة؛ فأجواء الكآبة التي تسيطر على المنابع الشعورية في النص العاطفي الرومانسي تجد لنفسها بعض التسلُّلات إلى بعض النماذج الشعرية الأندلسية،

---

[31]) إسماعيل ، عز الدين . كل الطرق تؤدي إلى الشعر . ط1 ، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ، 2006م ، ص 69 .

[32]) المرجع نفسه. ص 69 .

[33]) لالاند، أندريه . موسوعة لالاند الفلسفية ، تعريب أحمد خليل . إشراف أحمد عويدات ،ط2 ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، 2001 م، ص 329 .

[34]) بلاطة، عيسى يوسف . الرومانطيقية ومعالمها في الشعر العربي الحديث. د.ط، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، 1960م، ص 8.

[35]) ينظر: فوك، فورستر. ثلاثة قرون من الأدب، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا. ط1، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1966م، ج1، ص 127- 143.

ومن ذلك قول (الحصري القيرواني الضرير) ذاكراً كلمة (فرد) نفسها واضعاً إياها في سياق الذاتية الخاصة: [36] (مجزوء الخفيف)

أنا فردٌ بلا خليلٍ ولاابنٍ ولاأخِ
أنا كالأورق اشتكى فقدَ إلفٍ وأفرخِ
أنا كالزرع والعدا كالجراد المصوّخِ
أنا أبكي بنضَّجٍ وسأبكي بنضَّخِ

لقد حملت الأنا المتكررة على عاتقها التعبير عن انكسار الشاعر، وأجواء الإحباط من الحياة التي يعيشها؛ فالشاعر فقد الأمان، وداوم البكاء، وكثر أعداؤه، وقد عبَّر الشاعر عن ذلك التفرد من الألم الذي يعيشه عبر منظومة من المعاني التي تتعانق بها ذاته والموجودات الأخرى ليتداخل الكل بالجزء، والجزء بالكل في موجودات الطبيعة وأناه، وقد عبَّر (ابن زيدون) عن ذلك السياق في نصٍّ أرسله إلى الوزير(أبي حفص بن برد) يصور الناس، وصفاتهم البشرية من حوله جاعلاً من نفسه محور الحديث، مستعيراً بالطبيعة عبر تسلسلية صورية لافتة، يقول :[37] (مجزوء الرمل)

أذؤبٌ هامت بلحمي فانتهاشٌ وانتهاسُ
إن قسا الدهر فللماء من الصخر انبجاسُ
ولئن أمسيتُ محبوساً فللغيثِ احتباسُ
يلبدُ الوردُ السبنتيُّ وله بعدُ افتراسُ
فتأمَّل كيف يغشى مقلةَ المجدِ النعاسُ
ويُفَتُّ المسكُ في التربِ فيوطا ويُداسُ
لايكن عهدُكَ ورداً إنَّ عهدي لك آسُ

وتمتد شمولية الأنا لتشمل موجودات الطبيعة، فيتجاوز الشاعر الأندلسي مرحلة الإعجاب أو الانبهار التي تعبِّر عن نفسها وصفاً وتصويراً في الشعر، وأنسنةً للموجودات الطبيعية إلى مرحلةٍ تتماهى فيها ذاته مع الطبيعة فتصبح الطبيعة تمثيلاً لشمولية أناه المتضخمة إذ تمتد عواطفه، وتصوراته للحياة، ويسكب الشاعر محتويات ذاته، ومكنوناتها الجوهرية، فيصبح حديث الموجود الطبيعي حديث الشاعر؛ إذ إنَّ التجربتين متشابهتان، يقول(ابن خفاجة) في حديثه عن الجبل : [38] (البحر الطويل)

وقورٍ على ظهر الفلاةِ كأنَّه طوال الليالي مفكِّرٌ في العواقبِ
أصخْتُ إليه وهو أخرسُ صامتٌ فحدَّثني ليلُ السّرى بالعجائبِ
وقالَ : ألا كم كنتُ ملجأ قاتلٍ وموطنَ أوَّاهٍ تبتَّل تائبِ
فما خفقُ أيكي غير رجفةِ أضلعٍ ولانوحُ وُرقي غير صرخةِ نادبِ
وماغيَّض السُّلوانُ دمعي ولكنني نزفتُ دموعي في فراق الصواحب

---

[36] الحصري ، أبو الحسن . ديوان الحصري القيرواني، تحقيق محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحي . ط1 ، مكتبة المنار ، تونس، 1963م ، ص 306 .

[37] ابن زيدون ، أبو الوليد أحمد بن عبد الله . ديوان ابن زيدون . ص 139 .

[38] ابن خفاجة، إبراهيم بن أبي الفتح . ديوان ابن خفاجة، شرح وضبط وتقديم عمر فاروق الطباع . ط1 ، دار القلم للطباعة والنشر، دمشق ، 1994م ، ص 48 ، 49 .

فحتَّى متى أبقى ويظعنُ صاحبٌ أودِّعُ منه راحلاً غير آيبِ
حتى متى أرعى الكواكبَ ساهراً فمن طالعٍ أخرى الليالي وغاربِ
فقلتُ وقد نكَّبْتُ عنه لطيَّةً سلامٌ فإنَّا من مقيمٍ وذاهبِ

الجبل هو المعادل الموضوعي للشاعر، وهنا تتماهى ذات الجبل المؤنسن في هذا النص مع ذات الشاعر التي تطغى عناصرها على عناصر الجبل نفسه؛ فقد استعار الشاعر من الجبل صورته، ثمَّ قام بسكب التعبيرات الإنسانية عليها فتفوَّق على الصورة عن طريق اجتياز عتبات الحقيقة المادية إلى حقائق معنوية أبعد وأعمق في التعبير عن التجربة الإنسانية المتفردة التي يعيشها؛ فنحن جميعاً قد نتعرَّض إلى فراق الصواحب، وتجارب متكررة في الحياة ، والإنسان، عامَّة، يصل إلى مرحلة الحكمة عن طريق تكرار التجربة مع مرور سنوات عمره، بيد أنَّ الشاعر هنا أسقط عناصر التجربة على موجود طبيعي صامت هو الجبل، وهذه الاستعارة منحت تجربته بعداً أعمق، وامتيازاً ساعده على بسط شموليته الفردية، وغايته في ذلك التعرف إلى ذاته أكثر؛ فهذا التماهي بالطبيعة يساعد على توحيد أناه بالعالم الخارجي، وحين ((يهيمن على الشاعر شعور سامٍ بشيء عميق الاندماج ، فإنَّك قد تشعر معه بأن الطبيعة بجملتها لم تعد في الخارج ، بل صارت لوناً داخلياً للروح ، ومن أجل الروح وحده ، وهذا يعني أنَّه إذ يتقرى الطبيعة، ويتحرى سريرتها ومحضها وماهو مكنون فيها من فحوى، فإنَّه يتحرى سريرته الجَّوانية الصرفة ..))[39] ، وهذا مانلمسه في أبيات الشاعر التي يتحدث فيها إلى القمر، و يستبطن فيها مشاعر القمر، وينبش أسراره فيقول :[40] (البحر البسيط)

لقد أصخْتُ إلى نجواك من قمرِ وبتُّ أدلجُ بين الوعي والنَّظرِ
فلو جمعْتَ إلى حسنٍ محاورةً حزت الجمالين من خُبْرٍ ومن خبَرِ
وإن صمتَّ ففي مرآكَ لي عظةٌ قد أفصحت لي عنها ألسن العبرِ
فإن بكيتُ وقد يبكي الخليل فعن شجوٍ يفجِّرُ عين الماء في الشجرِ

يحاور الشاعر القمر، ويصغي إلى نجواه الليلية، فينتج لنا حديثاً خاصَّاً لم نسمع مثله في الشعر العربي، وهو حوار يدعو إلى راحةٍ نفسيَّةٍ لدى الشاعر الذي تملَّكه التعب في الدنيا، وتمكَّن منه الحزن، وهذا البحث عن الراحة في الطبيعة أساس يبني عليه الرومانسي رحلة استراحته في أحضان الأبدية، وفي هذا الخيال صورة من صور الهروب من الحاضر حتى ينطلق الشاعر بخياله في غير هذا العالم فراح يدغدغ الماضي البعيد لينحت صورة جميلة للمستقبل، فامتدت قريحته إلى الحقائق يبث فيها روحاً جديدة من وحي إحساسه المقهور، وهو مايتحقق في أبيات (ابن حمديس) حين يعبر عن حنان الطبيعة وشعورها المتبادل معه حول ألم الفراق والنوى، يقول :[41] (البحر الكامل)

إني لأبسط للقبول إذا سرت خدي وألقاها بتقبيل اليدِ
وأضمُّ أحنائي على أنفاسها كيما تبرِّد حرَّ قلبٍ مكمدِ
وعرفتُ في الأرواحِ مسراها كما عرف المريض طبيبه في العوَّدِ

لقد تعاظم دور الذات في الشعر الأندلسي، ويمكن الزعم أنَّ هذا التعاظم ساير بعض التوجهات الرومانسية من حيث الانفتاح الكامل على الطبيعة بشكل مقصود، والتماهي بها إلى درجة واعية من الطغيان العاطفي، وفيضان المعاني

[39]) اليوسف ، يوسف سامي . الأسلوب والأدب والقيمة . ط1 ، الهيئة السورية العامة للكتاب ، دمشق ، 2011م ، ص 28 .
[40]) ابن خفاجة ، إبراهيم بن أبي الفتح . ديوان ابن خفاجة . ص 139 .
[41]) ابن جمديس ، عبد الجبار . ديوان ابن حمديس . ص 168 .

النفسية الخاصَّة، وتلك الإشارات القادمة من (الأندلس) في القرنين الخامس والسادس الهجريين توحي ببيئة شعرية جديدة كانت قيد التكوُّن في ذلك الوقت، وسياقاً شعريَّاً يميل إلى الانزياح عن نهج كلاسيكي شديد الحزم تبدَّت ملامحه في القصائد الأوروبية اللاحقة التي تأثَّرت بماضيها الأندلسي، واستلهمته في غاياتها الإنسانيَّة .

الخاتمة

حملت بعض النصوص الشعرية في (الأندلس) في القرنين الخامس والسادس الهجريين بعض التوجهات الرومانسية في سياق تعبير الشاعر عن ذاته بوصفه الفرد الفاعل في العمليَّة الشِّعريَّة، ومن تلك التَّوجُّهات:

1-الإلحاح على دور تكامل ذات الشاعر والموجودات الطبيعيَّة في التعبير عن مشاعرها، وموقعها من الوجود؛ إذ نلاحظ تعاظم دور الطبيعة في تعبير الشاعر عن تجربته، وعواطفه.

2-البحث عن الآخر، ومحاولة الاتصال به كون عمليَّة تعبير الفرد عن فرديته لا تتم إلا بوساطة التماهي مع الآخر، سواء أكان الآخر محبوباً، أم مرثيَّاً، أم الشاعر نفسه في مرحلة سابقة.

3-التركيز على الحزن، والألم في سياق الحديث عن تجربة الشاعر الفرد في الحياة، وماحملته من خبرات؛ مثل نصَّي الجبل، والقمر للشاعر(ابن خفاجة).

4-استعذاب الألم في الحب، والتركيز على آثاره الجسديَّة المترافقة مع متعته من الناحية الروحية.

المصادر والمراجع :

1-ابن الأبار القضاعي البلنسي، أبو عبد الله محمد . *تحفة القادم* ، تحقيق إحسان عباس . ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986م ، عدد الصفحات 252 .

2-إسماعيل ، عز الدين . *كل الطرق تؤدي إلى الشعر*. ط1 ، الدار العربية للموسوعات ، لبنان، 2006م ، عدد الصفحات 314 .

3-الأعرج، واسيني. *اتجاهات الرواية العربية في الجزائر*. مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1976م، عدد الصفحات 655.

4-الأيوبي، ياسين. *مذاهب الأدب، معالم وانعكاسات: الكلاسيكية، الرومانتيكية، الواقعية*. ط2، دار العلم، بيروت، لبنان،1984م، عدد الصفحات 408.

5-بلاطة، عيسى يوسف . *الرومانطيقية ومعالمها في الشعر العربي الحديث*. د.ط، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، 1960م، عدد الصفحات 183.

6-بول فان، تيغم. *الرومانسية في الأدب الأوروبي*، ترجمة صباح الهجيم. د.ط ، وزارة الإرشاد القومي، 1981م

7-الجاحظ ، أبوعثمان عمرو بن بحر . *البيان والتبيين*، تحقيق عبد السلام هارون . ط7 ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ، 1998م، ، ج3 ، عدد المجلدات 4 ، عدد الصفحات 1600 .

8-الجهاد ، هلال .*جماليات الشعر العربي، دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي*. ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، 2007م ، عدد الصفحات 473.

9- ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد . *رسائل ابن حزم* ، تحقيق إحسان عباس ، ط2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان ، 1987م ، ج1 ، عدد الصفحات 795 .

10- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد . *طوق الحمامةِ في الألفة والألاف*، تحقيق حسن كامل الصيرفي .ط1، مطبعة حجازي ، القاهرة ، 1950م ، عدد الصفحات 176 .

11- الحصري ، أبو الحسن علي بن عبد الغني . *ديوان الحصري القيرواني*، تحقيق محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحي . ط1 ، مكتبة المنار ، تونس ، 1963م ، عدد الصفحات 523 .

12- ابن حمديس ، عبد الجبار . *ديوان ابن حمديس* ، تصحيح وتقديم إحسان عباس . د.ط ، دار صادر، بيروت ، 1960 ، عدد الصفحات 590 .

13- ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد . *مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس* ، تحقيق محمد علي شوابكه . ط1 ، دار عمار- مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1983م ، عدد الصفحات 464.

14- ابن خفاجة، إبراهيم بن أبي الفتح . *ديوان ابن خفاجة*، شرح وتقديم عمر فاروق الطباع . د،ط، دار القلم ، بيروت ، 1994م ، عدد الصفحات 253 .

15- الداني ، ابن اللبانة أبوبكر محمد بن عيسى . *ديوان ابن اللبانة*، جمع وتحقيق محمد مجيد السعيد . ط2 ، دار الراية للنشر والتوزيع ، عمان ، 2008م ، عدد الصفحات 171 . .

16- راغب، نبيل . *مذاهب الأدب وروح العصر* . مجلة الفيصل (السعودية) ، العدد 55 ، 1981م، ص 19-20-21-22.

17- ابن زيدون ، أبو الوليد أحمد بن عبد الله . *ديوان ابن زيدون* ، شرح يوسف فرحات . ط2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1994م ، عدد الصفحات 347 .

18- السمرة ، محمود .*مقالات في النقد الأدبي* . ط1 ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت 1974م ، عدد الصفحات 158 .

19- ابن عباد ، المعتمد . *ديوان المعتمد بن عباد*، جمع وتحقيق رضا الحبيب السويس . د.ط ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1975م ، عدد الصفحات 210 .

20- عباس ، إحسان . *فن الشعر* . ط3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1959م ،عدد الصفحات 284 .

21- عبيس ، سعد . *القلق في الشعر العربي الحديث* . مجلة الفيصل(السعودية) ، العدد 60 ، 1982م ، الصفحات 56 – 57 – 58 – 59 .

22- فوك، فورستر. *ثلاثة قرون من الأدب*، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا. ط1، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1966م، عدد الصفحات 1018.

23- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد .*الشعر والشعراء*، تحقيق أحمد محمد شاكر. ط2، دار المعارف ، القاهرة 1966م ، عدد الأجزاء 2 ، عدد الصفحات 1040 .

24- القرطاجني ، أبو الحسن حازم . *منهاج البلغاء وسراج الأدباء*، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجه. د.ط دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 1966م ، عدد الصفحات 417 .

25- كاسيرر ، إرنست . *فلسفة التنوير* ، ترجمة إبراهيم أبو هشهش . ط1 ،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الظعاين ، قطر ، 2018م ، عدد الصفحات 416 .

26- لالاند، أندريه . *موسوعة لالاند الفلسفية* ، تعريب أحمد خليل . إشراف أحمد عويدات ، ط2، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، 2001 م، عدد الصفحات 1711 .

27- محمود ، محمد عبد الحليم . *الشخصية الرومانتيكية والحب الرومانتيكي* . مجلة الرسالة (القاهرة) ، العدد 958 ، 1951م . الصفحات 16 – 17 – 18 – 19 .

28- المقري ، شهاب الدين أحمد بن محمد . *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*، تحقيق إحسان عباس . ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 1997م ، عدد المجلدات 8 ، عدد الصفحات 4920 .

29- مندور ، محمد . *محاضرات في الأدب ومذاهبه* ، ط1 ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، 1955م ، عدد الصفحات 116 .

30- مندور، محمد . *في الأدب والنقد*. د.ط، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1988م، عدد الصفحات 160.

31- ابن منظور،أبو الفضل جمال الدين . *لسان العرب* . ط3 ، دار صادر، بيروت ، 1993م ، عدد الأجزاء 15 .

32- مهدي زاده ، محمود . *الوجدانيات في شعر الشريف الرضي* . مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها(أصفهان) ، العدد 10 ، 2008م ، من الصفحة 38 إلى الصفحة 51

33- النساج ، سيد حامد . *في الرومانسية والواقعية* . ط1 ، مكتبة غريب ، القاهرة، 1969م ، عدد الصفحات 184 .

34- ويليك، رينيه. *تاريخ النقد الأدبي الحديث*، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد. المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ج2(العصر الرومانسي)، 1999م، عدد الصفحات 732.

35- اليوسف ، يوسف سامي . *الأسلوب والأدب والقيمة* . ط1 ، الهيئة السورية العامة للكتاب ، دمشق ، 2011م، عدد الصفحات 224 .

Sources and References:

1- Abbaas, Saad. *Anxiety in Contemporary Arabic poetry*. Al-Faisal Magazine (Saudi Arabia), Issue 60, 1982, pp. 56-57-58-59.

2- Abbas, Ihsan. *The Art of Poetry* . 3rd Edition, House of Culture, Beirut, 1959, number of pages 284.

3- AL- Aarag, Wasini. *Trends of the Arabic novel in Algeria*. National Book Foundation, Algeria, 1976 AD, pages 655.

4- Al-Ayoubi, Yassin. *Doctrines of Literature, Landmarks and Reflections: Classicism, Romanticism, Realism*. I 2, Dar Al-Alam, Beirut, Lebanon, 1984 AD, 408 pages.

5- Al-Dani, Ibn al-Labana, Abu Bakr Muhammad bin Isa. *Diwan Ibn al-Labana*, investigated by Muhammad Majeed Al-Saeed. Edition 2, Dar Al-Raya for Publishing and Distribution, Amman, 2008, number of pages 171.

6- Al-Hosari, Abu Al-Hassan Ali bin Abdul-Ghani. *Diwan Al-Hosari Al-Qayrawani*, edited by Muhammad Al-Marzouki and Al-Jilani Bin Al-Hajj Yahya. Edition 1, Al-Manar Library, Tunis, 1963, number of pages 523.

7- Al-Jahiz, Abu Uthman Amr Ibn Bahr. *Al-Bayan and altabiin*, investigation by Abd al-Salam Haroun. 7th Edition, Al-Khanji Library for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, 1998 , part 3, volumes 4, number of pages 1600.

8- Al-Maqri, Shihab Al-Din Ahmed bin Mohammed. *The breath of perfume from the fragrant Andalusian branch*, Verification by Ihsan Abbas. Edition 1, Dar Sader, Beirut, 1997, volumes number 8, number of pages 4920.

9- Al-Nasaj, Syed Hamid. *In romanticism and realism*. Edition 1, Gharib Library, Cairo, 1969, number of pages 184.
10- Al-Samra, Mahmoud. *Articles on Literary Criticism*. Edition 1, United Publishing House, Beirut 1974, number of pages 158.
11- Al-Youssef, Youssef Sami. *Style, literature and value*. Edition 1, the Syrian General Book Organization, Damascus, 2011, number OF PAGES 224 .
12- Balata, Issa Youssef. *Romanticism and its features in modern Arabic poetry*. Dr. T, House of Culture, Beirut, Lebanon, 1960 AD, pages 183.
13- Carthaginian, Abu Al-Hassan Hazem. *munahaj al-Bulgha and Siraj al-Adaba* ',Verification by Muhammad al-Habib Ibn al-Khawjah. Western Islamic House , Tunis, 1966, number of pages 417.
14- Casserer, Ernst. *Enlightenment Philosophy*, translated by Ibrahim Abu Hashhash. Edition 1, Arab Center for Research and Policy Studies, Al-Daayen, Qatar, 2018, number of pages 416 .
15- Fock, Forster. *Three Centuries of Literature*, translated by Jabra Ibrahim Jabra. I 1, Library of Life, Beirut, Lebanon, 1966 AD, pages 1018.
16- Ibn Abbad, almuetamad. *Diwan al-Mu'tamid bin Abbad*, collection and investigation rida alhabib alsuways. Tunisian Publishing House, Tunis, 1975, number of pages 210.
17- Ibn Al-Abbar Al-Qudaee Al-Balansi, Abu Abdullah Muhammad.*Tuhfat Alqadim*, Ihsan Abbas achievement. Edition 1, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut 1986 AD, number of pages 252.
18- Ibn Hamdis, Abdul-Jabbar. *Diwan Ibn Hamdis*, corrected and presented by Ihsan Abbas. Dar Sader, Beirut, 1960, number of pages 590.
19- Ibn Hazm, Abu Muhammad Ali bin Ahmed. *Ibn Hazm's letters*, Verification by Ihsan Abbas, ed 2, The Arab Foundation for Studies and Publishing, Lebanon, 1987 AD, Part 1, number of pages 795.
20- Ibn Hazm, Abu Muhammad Ali bin Ahmed. *Pigeon collar In familiarity and thousand*, edited by Hassan Kamel Al-Sayrafi, ed 1, Hegazy Press, Cairo, 1950, number of pages 176.
21- Ibn Khafajah, Ibrahim bin Abi Al-Fath. *Diwan Ibn Khafaja's*, explained and presented by Omar Farouk Al-Tabaa. Dar Al-Qalam, Beirut, 1994, number of pages 253.
22- Ibn Khaqan, Abo Nasr Al-Fath bin Muhammad. *The aspiration of the souls and the theater of affability in the salt of the people of Andalusia*, dited by Muhammad Ali Shawabkeh. First Edition, Dar Ammar - The Resala Foundation, Beirut, 1983, number of pages 464.
23- Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din. *lisan alearab* . 3rd Edition, Dar Sader, Beirut, 1993, number of parts 15.
24- Ibn Qutaybah, Abu Muhammad Abdullah Ibn Abd al-Majid,*The Poetry and Poets*, edited by Ahmad Muhammad Shaker. Edition 2, Dar Al Maaref, Cairo 1966 AD, number of parts 2, number of pages 1040.
25- Ibn Zaidoun, Abu Al-Walid Ahmed bin Abdullah. *Diwan Ibn Zaidoun*, explained Youssef Farhat explained. Edition 2, Arab Book House, Beirut, 1994, number of pages 347.
26- Ismail, Ezz El-Din. *All roads lead to poetry*. 1 Edition, Arab Encyclopedia House, Lebanon, 2006 ,number of pages 314 .

27- Jihad, Hilal. *Aesthetics of Arabic poetry*, a study in the philosophy of beauty in pre-Islamic poetic consciousness. Edition 1, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 2007, number of pages 473 .
28- Laland, Andre. *Laland Philosophical Encyclopedia*, Arabization of Ahmed Khalil. Supervision Ahmad Oweidat, 2nd Edition, Oweidat Publications, Beirut, Paris, 2001, number of pages 1711 .
29- Mahdi Zadeh, Mahmoud. *Sentimentalism in the poetry of Sharif Al-Radhi*. Journal of the Iranian Society for Arabic Language and Literature (Isfahan), Issue 10, 2008 , from page 38 to page 51.
30- Mahmoud, Muhammad Abdel Halim. *Romantic personality and romantic love*. Al-Risala Magazine (Cairo), Issue 958, 1951 . PP 16 - 17 - 18 - 19.
31- Mandour, Muhammad. *In literature and criticism*. Dr. T, Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, Egypt, 1988 AD, pages 160.
32- Mandour, Muhammad. *Lectures on literature and its doctrines*. 1st edition, Institute for Higher Arab Studies, Cairo, 1955 , number of pages 116.
33- Paul Fan, Tigm. *Romance in European Literature*, translated by Sabah Al-Hajeem. Dr. T, Ministry of National Guidance, 1981 AD
34- Ragheb, Nabil. *Doctrines of literature and the spirit of the times*. Al-Faisal Magazine (Saudi Arabia), Issue 55, 1981 , pp. 19-20-21-22.
35- Willick, Renee. *A History of Modern Literary Criticism*, translated by Mujahid Abdel Moneim Mujahid. The Supreme Council of Culture, The National Project for Translation, Volume 2 (The Romantic Era), 1999 AD, 732 pages.